85362 ـ دوافع النجاح وتجاوز الفشل

السؤال

ما هو الدافع لدى بعض الناس لمقاومة الفشل ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

إن اسم الفشل ، أيها السائل الكريم ، كاف لكي ننفر منه ، ونسعى للنجاح ، بغض النظر عن مكسب مادي يتحصل عليه المرء من نجاحه ؛ فالفشل اسم نقص وذم ، والنجاح اسم كمال ومدح :
وَلَم أَرَ في عُيوبِ الناسِ شَيئاً كَنَقصِ القادِرينَ عَلى التَمامِ

إن الفشل والنجاح ، ثنائية منقطعة متصلة في الوقت نفسه ، قد يبدو منها التناقض في أول وهلة ، ولكنها في حقيقتها متلاحمة متشابكة في تنظير الفكر ، وشواهد التجربة والواقع ، وإن كان لكل منهما معرِّفاتُه التي من خلالها نفهم الدوافع التي تحملنا على سلوكها إقبالا أو إحجاما :
فالنجاح سنة في هذا الكون أراد الله تعالى أن تكون غاية كل مؤمن ، وخلق الكون كله مسخرا لتحقيق تلك الغاية ، فقد أمر سبحانه الإنسان بالإيمان ، وطلب منه الالتزام بالعبودية التي لا ينفك عنها ، وجعل ذلك غاية الخلق حين قال : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات/56 ، وعد سبحانه من مات على ذلك الطريق هو الناجح وغيره هو الخاسر : (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) آل عمران/185
فالنجاح إذا قصة الحياة ، وغاية خلق الله تعالى لهذا الكون ، وما أرسلت الرسل ، وما أنزلت الكتب إلا لدعوة الناس إلى النجاح الحقيقي عند الله سبحانه ، وقد وضع سبحانه من محفزات النجاح في الدنيا والآخرة ما يأخذ بأيدي السالكين إليه ، وذلك :

ـ حين كتب النعيم المقيم الخالد لمن نجح في اختبار الإيمان والعبودية ، والتزم طريقهما ومات عليهما : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ . إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) الحاقة/19-24
ـ وحين صور القرآن حال أولئك الذين رفضوا سبيل النجاح ، وأصروا على سبيل الغواية والفشل ، ووصف حالهم يوم

تعرض النتائج ، ويُعلم الناجح من الخاسر : (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ) الحاقة/25-29

ـ وحين كتب سبحانه الحياة الطيبة في الدنيا لمن يسلك سبيل النجاح ، فقال عز وجل : (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) النحل/97

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

" هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت ، وقد روي عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه فسرها بالقناعة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : إنها هي السعادة ، والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله . " تفسير القرآن العظيم " (4 / 601) .

هذا هو المنهج الذي يعيش وفقه المسلم ويفهم من خلاله الحياة ، ومن انطلق من هذا الفهم فإنه لا بد سيقوده إلى النجاح والتفوق في أمور دينه ودنياه ، لأن المؤمن يعلم أنه مطالب بإقامة الحق والعدل في هذه الدنيا لقول الله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) الحديد/25 ، ونجاح الفرد جزء من نجاح الأمة في تحقيق العدل والقسط .

ولأن المؤمن يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم حين يقول : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُم عَمَلًا أَن يُتقِنَهُ) رواه أبو يعلى (7 / 349) وحسنه الألباني بشواهده في " السلسلة الصحيحة " (1113) ، وإتقان العمل ركن من أركان النجاح .

هذه الدوافع كلها هي التي تحفز المؤمن لبلوغ أقصى درجات النجاح ، فهو يسعى دائما في تنمية مواهبه ، واكتساب المهارات النافعة ، وتطوير ذاته على المستوى الثقافي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي ، ويعلم أن المؤمن العامل الناجح خير من القاعد المحبط الكسول ، الذي لا يجني من كسله سوى خسارة الدنيا والدين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) . رواه مسلم (2664) .

قال ابن القيم رحمه الله : " فتضمن هذا الحديث الشريف أصولا عظيمة من أصول الإيمان ..، ومنها :

أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده ، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع ... ، ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ، ليجتمع له مقام إياك نعبد وإياك نستعين ، فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله ، ولا تتم إلا بمعونته ؛ فأمره بأن يعبده وأن يستعين به .

ثم قال : (ولا تعجز) ؛ فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه ، وينافي استعانته بالله ، فالحريص على ما ينفعه ، المستعين بالله ، ضد العاجز ؛ فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله ، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ، ومصدرها منه ، ومردها إليه ؛ فإن فاته ما لم يُقَدَّرْ له ، فله حالتان : حالة عجز ، وهي مفتاح عمل

الشيطان ؛ فيلقيه العجز إلى لو ، ولا فائدة في لو ههنا ، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن ، وذلك كله من عمل الشيطان ، فنهاه صلى الله عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح ، وأمره بالحالة الثانية ، وهي : النظر إلى القدر وملاحظته ، وأنه لو قدر له لم يفت ولم يغلبه عليه أحد ؛ ... فلهذا قال : (فإن غلبك أمر فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل) ، فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين : حالة حصول مطلوبة ، وحالة فواته ، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدا "

شفاء العليل (37-38) .

وهو بهذا الفكر يتجاوز كل عقبة وكل فشل ، لا يعجزه شيء ، وليس لأمانيه حدود ، وليس لهمته وعزيمته نهاية .

بل يعلم أن الفشل إنما هو دليل على العمل ، لأن الذي يعمل هو الذي قد يفشل ، وأما القاعد المتكاسل فلا يصيب فشلا ولا نجاحا ، والعمل لا بد أن يثمر النجاح يوما ولو بعد حين ، فهو لذلك يتخذ من الفشل خطوة نحو النجاح ، يتنبه به على مواطن الخلل والنقص ، ويحاول تجاوزها وإصلاحها ، فيعود أقوى وأصلب مما كان عليه من قبل ، حتى يصيب النجاح الذي يسعى إليه .

وما باب التوبة الذي فتحه الله تعالى للذين يخطئون ويفشلون إلا حافز آخر لتجاوز مراحل الفشل إلى مراقي النجاح ، خاصة إذا استفاد المقصر من تجربته ، حتى قال بعض السلف : " معصية تورث ذلا وانكسارا خير من طاعة تورث عجبا واستكبارا " .

وأخيراً ، ومع كل هذه الحوافز والدوافع نحو النجاح وتجاوز الفشل لا يبقى عذر لقاعد أو متكاسل أو محبط ، فالسبيل ميسر ، إنما يَطلُبُ منك شيئا من العزيمة والإرادة والحكمة .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى) رواه البخاري (7280) .

وانظر جواب السؤال رقم (22704) .

والله أعلم